بسم الله الرحمن الرحيم

روى البخاري في صحيحه: ((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَعْتَقُوهَا، فَكَانَتْ مَعَهُمْ قَالَتْ فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ، قَالَتْ فَوَضَعَتْهُ أَوْ وَقَعَ مِنْهَا، فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ وَهْوَ مُلْقًى، فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا فَخَطِفَتْهُ، قَالَتْ فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ قَالَتْ فَاتَّهَمُونِي بِهِ. قَالَتْ: فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا. قَالَتْ وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ، إِذْ مَرَّتِ الْحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ قَالَتْ فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ. قَالَتْ فَقُلْتُ هَذَا الَّذِى اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ – زَعَمْتُمْ – وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَهُوَ ذَا هُوَ. قَالَتْ فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَتْ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَكَانَ لَهَا خِبَاءٌ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ حِفْشٌ، قَالَتْ فَكَانَتْ تَأْتِينِي فَتَحَدَّثُ عِنْدِي قَالَتْ فَلاَ تَجْلِسُ عِنْدِي مَجْلِسًا إِلاَّ قَالَتْ:

وَيَوْمَ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا أَلاَ إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِى

قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لَهَا مَا شَأْنُكِ لاَ تَقْعُدِينَ مَعِي مَقْعَدًا إِلاَّ قُلْتِ هَذَا قَالَتْ فَحَدَّثَتْنِي بِهَذَا)).

ففي تلك البقعة المباركة (مكة) كانت أحداث تلك القصة مع جارية سوداء، تقوم على خدمة بيت من العرب، وكانوا قد أعتقوها، فبقيت عندهم، وفي يوم من الأيام، خرجت صبية لهم الى مغتسل لها، وعليها وشاح أحمر، فوضعت وشاحها الأحمر خارج المغتسل، ثم مرت حَدَأَة (وَهِيَ طَّائِر مَعْرُوف مؤذي)، فحسبت الوشاح الأحمر لحما فالتقطته، فلما خرجت الصبية ،فقدت وشاحها، ولم تجده، فصاحت بأهلها، فبحثوا عنه ولم يجدوه، واتهموا تلك الجارية بسرقته، و قاموا بتفتيشها، وجردوها من ثيابها، وقاموا بتهديدها وتعذيبها، والبحث عن الوشاح بين خبايا ملابسها، فكانت هذه الساعات من عمرها ساعات كرب وشدة، أحست فيها بالمهانة والظلم والاحتقار، فهي ليست ذات نسب تعتز بنسبها، ولا بذات قرابة، تستنصر بقرابتها، وليس بها قوة، فتدفع بها عن نفسها، ولا تملك الحجة والدليل على براءتها، فلم تجد لها نصيراً تستنصر به، ولا مغيثاً تستغيث به إلا ربها الذي خلقها، ونسيت آلهة قومها وأصنامهم، وتوجهت إلى الله تعالى أن يظهر براءتها، وأن يفرج كربها و يخلصها من هذا الاتهام الظالم، فأجابها الذي يجيب المضطر إذا

دعاه، ويكشف السوء، فقد جاء الفرج بأسرع مما توقعت وتأملت، فإذ (بالحَدَأَة) تلقى الوشاح، وهكذا ظهرت براءتها، فأخذوا وشاح ابنتهم، وأيقنوا أنهم ظلموا هذه المسكينة.

فقالت لهم الوليدة المظلومة: اتهمتموني به، ها هو ذا أمامكم، وهنا قررت الهجرة من مكة، بعد أن اثر فيها هذا الموقف، فهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآمنت معه وأسلمت لله رب العلمين، وسكنت في خباء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قصة تدل على أن الله تعالى لطيف بعباده، ولطفه عظيم ورحمته واسعة، فإنه ينقذ عباده من الضيق، ولو كان في أشد صوره، ولا يتخلى سبحانه عن المخلوقين، حتى ولو كانوا متلبسين بالكفر لا يرضى بظلمهم.

لقد وعتْ هذه الجاريةُ الصغيرةُ الدرسَ، وفهِمتْه، وأدركتْ المرادَ منها، فمضت تُنقذُ نفسها، فكانت هجرتها إلى مدينته صلى الله عليه وسلم، لتلحق بركب المؤمنين، وتركب سفينة الموحدين، وتترك القوم الظالمين!

ومن الفوائد والعبر، والدروس المستفادة من هذه القصة، وذاك الحديث:

1 – استجابة دعوة المظلوم ولو كان كافراً، لأن المرأة لم تسلم إلا بعد قدومها إلى المدينة، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهَّ حِجَابٌ)) وقال ((دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا)).

2 –فضل الدعاء بيقين وإخلاص، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ادْعُوا اللهَّ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)).

3 –اليقين بأن الله ينجي المضطر حتى من قِبَل أهل الجاهلية، قال الله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان: 32]

4 –شكر الله لها يقينها، فهداها للإسلام، فشكرت لله صنيعه بها وتفريج همها، وبيان براءتها أمام الجميع بآية عجيبة (فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ)، وشكرت لله صنيعه ومكثت في المسجد تتعلم دين الله (وَكَانَ لَهَا حِفْشٌ فِي الْمَسْجِدِ)، فشكر الله لها، وجعلها تحدث عند أمهات المؤمنين (فَكَانَتْ تَأْتِينَا فَتَحَدَّثُ عِنْدَنَا) وجعل قصتها تُروى فالله شكور.

5-مشروعية الخروج من البلد الذي يحصل للمرء فيه محنة، ولعله يتحول إلى ما هو خير منه، كما وقع لهذه المرأة، قال تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً} [النساء:100]، إرغاماً لأنف الذين اضطهدوه، وسعةً له في الرزق.

6- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

7- أن هذه المحنة كانت سببا لنجاة هذه المرأة من الكفر، وعرفت أن الذي نصرها واستجاب دعوتها هو الله الذي عادت إليه فطرتها السليمة، وأدركت أن الأصنام التي كانوا يعبدونها لا تساوي حفنة من تراب، فدائما خلف المحن منح من الله تعالى.

8- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته رضي الله عنهن بالضعفاء والفقراء، فكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم متنفس لهذه المرأة الضعيفة، فكثيرا ما كانت تزور عائشة، تؤنسها بالحديث معها

9- هذه المرأة رضى الله عنها كانت تقم المسجد وتخدمه حتى توفاها الله ولم تكن عالة على أحد من المسلمين، وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ماتت، ولم يخبره أحد بذلك، فذهب الى قبرها وصلى عليها، فرضي الله عنها لخدمتها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلوات الله وسلامه وبركاته على من بُعث متممًا لمكارم الأخلاق فأتمّها.

فضل عائشة بسؤالها لما أكثرت من قول (وَيَوْمُ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ رَبِّنَا...أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي)، وأن طلب العلم من الصغير أو الأقل علما من علامات النبل.

10- الابتلاء سنة كونية (يبتلى الله بها المسلم للتمحيص ولرفع الدرجات والكافر للتذكير أو للعقاب)

11-بيان إهانة المرأة في الجاهلية، وسوء المعاملة لها، من إهانة المرأة في الكشف عن الوشاح بما يخدش حياءها ويطعن في شرفها ويحط من كرامتها.

12- الهداية بيد الله كيف أن تعذيبها من قبل الجاهلية صرف قلبها لدين الحنيفية.

13-المتهم بريء حتى يثبت بيقين إدانته...فقد ظهرت براءتها وإن كانت المعطيات الأرضية تثبت تورطها في السرقة...لذلك أمرنا في هذه الشريعة الغراء بالتثبت والتبيّن وإلا أصبنا قوما بجهالة

14- (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)، والكل مأمور بأمره، فالحديا كانت في هذه القصة من جند الله الساعين لبيان الحق، وكانت منفذة لأمر الله...

والحمد لله رب العالمين